ومن معتقداتهم ان مأوى جميع الناس جهنّم واما السماء فانها خلقت لليزيدية وحدهم

(ستأتي البقية)

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس اليان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

الفصل الاوّل

الاصول

هي الطبيعة تحكم على المرء في كلّ تأليف اراده ان يتمّ بادئ بدء بايجاد المواد التي يتطلّبها موضوعهُ. ثم يشتغل بتنسيق تلك المواد على ترتيب يلائم مقتضى الحال. وبعد ان يتيسّر لهُ كلا الامرين يسعى في التعبير اي إبراز موضوعهِ بصورة تروق الخاطر. فقُل حينئذٍ: قد تمّ لهُ المراد

وما كانت الرواية التمثيلية لتخرج عن هذا الحكم. وهي اولى من جميع الفنون باتخاذ الطبيعة لها دستورًا. فلنبحث اذن بتدبّر في كلّ من الايجاد والتنسيق والتعبير

البحث الأوّل

الايجاد

لقد صدق من قال «لا تُعَدُّ الرواية صالحةً الّا اذا أنسَ بها الذوقُ السليم». فعلى المؤلّفين ان يصرفوا اهتمامهم الى مراعاة الشروط التي ترتاح اليها نفوس العقلاء فلا يبالوا باستنباط الخزعبلات التي تهشّ لها الجهلاء. او فليعدلوا عن الركوب في غير صهوتهم. لئلّا يحطّوا من قدر هذا الفن الشريف. فاذا اقدمتَ ايها الاديب على تأليف رواية فانظر في ما تختارهُ الى امور اربعة: الموضوع والاشخاص والوحدات وادب الرواية

١ الموضوع

يشترط فيهِ ان يكون: ١° معتدلًا اي بعيدًا من الايجاز المخلّ والاسهاب المملّ. فالايجاز يمنع الرواية من استيفاء لوازمها واستكمال محاسنها ويعرضها على الحاضرين كأنّها لغز يُطلَب منهم حلّ رموزهِ. والاسهاب وهو الفاشي بين المؤلّفين

يذهب برونق الرواية اذ يحتلها من الشروح الضافية والخطب الطويلة مع الحوادث المتعددة ما لا تقوى عليه ذاكرة السامعين فضلاً عن صبرهم — ٢ مليئاً اي محكم الارتباط آخذة اجزاؤه بعضها برقاب بعض صادرة فيه اللواحق عن السوابق لا يعتريه خلل ولا تشويش. وهذا الشرط على جانب من الاهمية تقتضيه وحدة الواقعة كما سترى — ٣ جارياً نحو النتيجة وذلك ان تأتلف كل شعبه في السعي نحو العاقبة وتتجه الى الخاتمة كل ظروفه متدرجة لا تتوقف ولا تعيقها استطرادات معارضة — ٤ تاماً اي مستوفياً للغرض المقصود بالغاً الحد المرغوب. فيعرف الحاضرون النتيجة تمام المعرفة كما وقفوا حق الوقوف على المقدمة. فلا يخرجون الا وقد نالوا اربهم باطلاعهم على الواقعة بكمالها من البداءة الى النهاية حتى لم تبق في نفسهم منها حاجة. وهذا الشرط ينفي كل فضول بعد استتمام الواقعة — ٥ طبيعياً اي خالياً من كل انواع التكلف. فتتبع فيه الامور مجراها الحقيقي متسلسلة بعضها من بعض وفقاً لشروط الحقيقة والاحتمال. وتتناسب فيه المعلولات مع علاتها طبقاً للنواميس الجارية. وما اجهل الراغبين في الامور الخارقة الشاحنين روايتهم من غرائب الحركات والاعمال وعجائب الصدف والحوادث. ظناً منهم ان رونق الرواية بالضرب والطعن والسم وظهور الاشباح وثوران العناصر وما اشبه ذلك. جهلوا وما دروا ان مثل هذه الوسائل يشتم منها رائحة التكلف والعجز عن اداء المحاسن الحقيقية. فهي تبهج الناظر وتفعل في المخيلة ولكنها لا تترك في النفوس أثراً. اما رونق الرواية الذي تصبو اليه القلوب فانما ينتج من مشهد اشتباك الاحوال وتناظر المصالح والمساعي وتباين الاخلاق والعواطف بين فريقين او مشهد نفس تتنازعها العوامل المختلفة وتتجاذبها الدواعي المتناقضة

ذكرنا هذا الشرط في الآخر على ان له المقام الاول بين الجميع. ولا بدع فان مرجع الرواية في سكناتها وحركاتها انما هو الى محاكاة الطبيعة. بيد ان بعض الروايات لا تخلو واقعتها من الخارق

ويراد بالخارق (le Merveilleux) تمثيل شخص من غير عالمنا (كالباري تعالى عز وجل او الملائكة او الابالس او ارواح الموتى او الاشباح) بحيث يظهر احد هؤلاء على المسرح. ويجب عادة محاشاة ذلك لان الرواية كما سبق القول تمثل اعمال البشر واخلاقهم في الطبيعة

امّا اعمال العناية الالهيّة في البشر فالأَولى ان تمثّل تمثيلاً خفيًا بالوسائط العاديّة طبقًا لنواميس الطبيعة الجارية ولا شكّ باحكامهِ وقدرتهِ تعالى. ولا بأس من الالتجاء الى الخارق الظاهر اذا دعت اليهِ الضرورة ولاسيما اذا ساعدت على ذلك الآلات فيتراءى على المسرح ملاكٌ من العلاء او غيرهُ من الارواح والاشباح. بيدَ أنهُ ليس من الواجب ظهور الشخص العجيب للعيان ولو رغب في مثل هذه المشاهد اولئك الذين خفّت حلومهم. بل يُستعاض من مرآهُ بسماع صوتهِ فقط. وافضل من كلا الامرين ان يُفترَض وجودهُ في الخارج. وحينئذٍ يروي عنهُ احد الاشخاص ما يلائم من قولٍ او فعلٍ. ومن هذا القبيل النبوّات وقصص الاحلام

٢ الاشخاص

يُشترط في الاشخاص: ١ً ان يكون عددهم معتدلًا. فما اقبح ما نراهُ من روايةٍ مدارها على ثلاثة اشخاص فقط. او أُخرى تقتضي واقعتها خمسين شخصًا. فانّ قلّتهم لا تفي بالمطلوب ولا تملأ العيون. وكثرتهم على ضيق نطاق الرواية لا تمكّن من مشاهدتهم مليًا ومعرفة اخلاقهم. فتخالهم الاشباح يمرُّون امامنا سراعًا. يظهرون لحظةً ثم يختفون. وهذا الخلل سائد في الروايات الحديثة. ولكم من غرٍّ يحسب كثرة الاشخاص من دلائل الكمال — ٢ً ان يكون بينهم تفاوت في المقام والاهميّة. وكذا الناس طبقات ومراتب. ولمّا كان مرجع الادارة في الامور الخطيرة الى فردٍ هو العامل الاكبر والأعلى فلا بُدَّ في الرواية من بطل (héros) اي شخص ممتاز اليهِ مرجع الاشخاص البواقي كائنًا هو روح العمل في الواقعة — ٣ً أن ينقسموا الى فريقين انصار البطل وخصومهُ. فانّ التضادّ بينهم في الطباع والاقوال والاعمال لمن اعظم دواعي التشوّق واللذّة. ويُقتضى ان يقوم بين الخصوم شخص يكاد يضاهي البطل في اهميّتهِ. فيقف دائمًا بوجههِ ويعترضهُ في سبيلهِ. ولكَم من النوادر والحوادث تنتج من هذا التناقض في مساعيهما

وليس يُطلَب من البطل ان يكون من الاخيار مستجلبًا الى ذاتهِ الاعطاف والحبّ بل يصحّ أنْ يكون من الاشرار تميل عنهُ القلوب الى خصمهِ. امّا هو فكفاهُ ان يستلفت اليهِ الابصار بخطارة حالهِ وعملهِ ويستوقف الخواطر. لكنّما الشأن الاوّل احرى بهِ واحبّ

الى النفوس. واذا كان من الاخيار الافاضل فلا يوصفنّ بكمال فائق اي بالغ حدّ النهاية في الخير مجرّدًا عن كل حسّ بشري معصومًا من الهفوات والسقطات. واذا كان من الاشرار فلا يبالَغ بشرّه حتى يكون عاريًا من كل شاعرة كريمة. لأنّهُ اذا تمّ لهُ الكمال والعصمة أيقنّا بغلبته على الاهواء والاميال وامنّا عليه من خطر الانقلاب. فلا نعود نجد تشوّقًا الى مراقبة حركاته ومراعاة حالاته او تأخذنا هزّة من مشاهدته في تيّار العواطف عرضة لعواصف الاهواء. وذلك لسابق علمنا بانهُ لا خوف عليه. كما أنهُ لو بُولغ في صفاته السيئة لم يعد يستعطف اليه القلوب

ومن الاشخاص مَن نسمّيه بالموْتَمَن (confident). ويراد به شخص لا نفع منهُ سوى انهُ امينٌ لسرّ غيره يسمع نجواهُ اذا باح بافكاره واميالهِ. فيشاطرهُ العواطف كأنّما هو شخصهُ الثاني. وقد كانت العادة في روايات القرن السابع عشر ان يُتّخذ لكلّ من الاشخاص الخطيرين موْتمَن اتبعُ لهُ من ظلّهِ يناجيه كلّ آنٍ في خلوته فيساعدهُ على ابراز مكنونات صدره ليقف عليها الحاضرون. وقد استعاض المعاصرون عن الموْتمَن بالمناجاة وهي مخاطبة المرء نفسهُ على مسمع من الجمهور. بيدَ انّهم اكثروا منها واسرفوا في طولها حتى اصبحتَ لا ترى الّا حديثًا ضافي الذيل او خطابًا مسهبًا مملًّا. وخيرُ طريقة لايقاف السامعين على دخيلة الشخص هي اتّخاذ موْتمَن لا يكون كما في الاعصر الماضية مجرّد ظلّ يرسم لنا صورة غيره او صدًى يردّد عواطف سواهُ بل شخصًا عاملًا لهُ بعض الغرَض في الواقعة

ومِمّا يلحق بالاشخاص الاخلاق (Caractères) ويشترَط فيها ان تكون:
١ً خطيرة فيها بعض العظمة. فالشرور والجرائم نفسها لا تنفي الحطارة والعظمة اذا كان فيها ما يميّزها عمّا سواها من نوعها. فانك تجد في مجرى بعض الفظائع من دلائل الإقدام وعلوّ الهمّة ما يجعلك مع كرهك للفظيعة وسخطك على فاعلها تُعجَب بما ابداهُ هذا من المهارة والبسالة. وهكذا قل عن الكذوب صاحب الفنّ. فانّك مع نفرتك من الكذب وازدرائك بذويه لا يسعك الّا الاعجاب بدهاء ذلك الرجل وحسن اساليبه. قال فُونتنيل (Fontenelle) في شرح ارسطو «يجب ابراز الاخلاق في درجة رفيعة. الرذائل منها مثل الفضائل. . . فللرذائل ايضًا كمال خاصّ بها. . . ومن الفن ما يُرى

الرذائل و يظهرها في مظهرٍ ما من العظمة » — ٢ ملاءمة اي توافق سنّهم وجنسهم ونسبهم ومرباهم ومركزهم وبلدهم وعصرهم ودورهم الذي يلعبونهُ في الواقعة . ولكم ضحكتُ في حضور رواياتٍ كثيرة اذ كنتُ ارى الخدَم يشبهون اسيادهم في سكناتهم وحركاتهم والأحداث يحاكون الشيوخ في وقارهم والجاهل الأمّي يبدي من المعرفة ما يُزري بالعالِم الفاضل — ٣ حقيقيّة اي تنطبق على رواية التاريخ في ظروف الزمان والمكان التي وُجدوا فيها وجميع امورهم واحوالهم . واذا كان الشخص مخترَعاً يحقّ للمؤلّف ان ينسب اليهِ ما يستحسن من الاخلاق والعوائد بشرط ان تلائم دَورهُ كما سبق اعلاه . وما اغرب كتّابَ بلادنا اذ يعرضون علينا الشخص لا كما كان في الحقيقة بل كما شاؤوا . فهل أُبيح لهم يا تُرى ان يتصرّفوا على هواهم بمَن سلفوا . ام فاتهم انّ نفوس الحاضرين يسوءها ان ترى المسخ والتشويه في صوَر اقوامٍ لم يزالوا مع تقادم عهدهم اشهر من الاحياء اعينهم . قل لي ناشدتك الله أيها الاديب ما تكون حالك اذا بدا لعينك حاتم ومعن وكُلَيب وسحبان والمتنبي وعنترة والمهلهل والحارث بن ظالم والسموءل وقصير وهنّقة وشظاظ وابو العلاء واشعب على غير ما تعهدهم من الكرم والحِلم والعزّ والخطابة والشعر والشجاعة وطلب الثأر والفتك والوفاء والدهاء والحمق واللصوصيّة وتوقّد الذهن والطمع ؟ — ٤ ثابتة اي لا تتغيَّر بتغيُّر الامور بل تبقى كما هي من البداءة الى النهاية كما قال المتنبي :

وحالاتُ الزمانِ عليكَ شتّى وحالُكَ واحدٌ في كلِّ حالِ

ولا يُراد بالثبات ان يكون الشخص من حجر لا تؤثّر فيهِ الظروف ولا تفعل في نفسهِ الانفعالات . ولكنّا نقصد بذلك انّ جوهر الاخلاق يبقى دائماً هو هو اما المظاهر فتبدو في صوَر متنوّعة والعواطف تختلف باختلاف الاحوال . وربّ معترضٍ يقول انّ من الناس مَن تراهُ يتلوّن في خُلقهِ كالحرباء فأنى لهُ الثبات . أُجيب انّ جوهر هذا الرجل هو ان لا يستقرّ على حال . فثباتهُ اذن قائمٌ ببقائهِ على كونهِ متلوّناً . وان شئتَ قُل انّ ثباتهُ بعدم ثباتهِ . ويسوءني اني لا اجد بدّاً من التكرار بان اكثر الكتبة في بلادنا قلّما يعبأون برعاية شروط الاخلاق ولاسيما هذا الاخير (ستأتي البقية)